هل اللغة العربية في أزمة

أ.د. علي توفيق الحمد

- يعني البحث بمصطلح "ازمة" : المعاناة التي تعيشها اللغة العربية بين أهلها، على المستوى التداولي، والتَعلم، والتعليم، وعلى مستوى الانحرافات اللهجية والعجمة التي تسلّلت إلى ألسنتهم ومعجمهم. فالمراقب يحسَ – بوضوح- بالحال التي وصلت إليها اللغة العربية في عصرنا. فحالها لا تسّر المراقب الغيور على حال الأمة ومتعلقاتها، فاللغة وسيلة التواصل والاتصال بين أبنائها من جهة، وبينهم وبين من يعيشون في كنفها ومحيطها من جهة أخرى.

- فلو بدأنا بمراقبة حالها على مستوى البيت والأسرة، وهو المحيط الذي تتكون فيه الملكات اللسانية وتنمو وتُهذَّب وتُشذَّب، فلو بدأنا بذلك لخرجنا بمعطيات ومخرجات لا تسّر، ولا تبعث على الاطمئنان.

فالبيوت والأسر- أراها – تنقسم في هذا المجال ثلاثة أقسام:

أ- أُسر بسيطة الحال والمستوى المعيشي والثقافي، وهي تمثّل بيئة لسانية ضعيفة مهلهلة – تقريباً -، مختلفة في بعض مستوياتها واستعمالاتها اللغوية التداولية، وهي أسر عربية أصيلة كريمة، فرضت عليها الحياة ظروفًا اجتماعية وثقافية – وربّما مالية واقتصادية- صعبة، تميل إلى المحافظة على المألوف الموروث، وعلى لهجاتها بما فيها من انحرافات لهجية ابتعدت بها عن السلامة اللغوية، ويشبَ أبناء هذه الأسر على لهجة ذويهم وبيئتهم بما فيها من انحرافات وتشوّهات لهجية، بسبب انعزالهم وقلة اختلاطهم بغيرهم،إلاّ على مستويات لغوية قد تكون أقلّ سلامة وأكثر تشوّهًا وعجمة.

وهذه الفئة- الجماعة اللغوية – تحتفظ بموروثها ومعجمها اللساني، الذي قد يكون سليمًا على مستوى المعجم والتراكيب الموروثة، ولكنه يعاني من فقر لقلة الموروث، وقلة الخبرة والمعرفة والاطّلاع على ما جدّ ويجدّ في زمنهم، وذلك أكثر وضوحًا على مستوى المعجم والمصطلحات؛ لأن اللغة لا تتعش إلا في البيئات الغنية بالأدوات وبالأشياء المصنوعة والمكتشفة(١).

ب- أُسر متوسطة الحال على المستوى المعيشي والثقافي، وهي تمثل نسبة عالية في المجتمعات والبيئات التي تعيش فيها، وهي مجموعة أو بيئة لغوية محافظة- كانت كذلك إلى عهد قريب، كانت لغتها سليمة نسبيًا بفعل الموروث العربي الأصيل السليم – نسبيًا، فكانت لغة هذه المجموعة جيدة مقبولة بفعل الثقافة والتعلّم، والاختيار الواعي، وهجر ما تراه أعجميًا أو سوقيًا عاميًا، فكانت هذه الفئة أو المجموعة تقوم بتهذيب العامّي وتفصيحه، وهجر الأعجميَ الثقيل، واستخدام مقابل عربي فصيح يسدّ مسدّه ويغني عنه، وهكذا نشأ لديهم مستوى لغوي عربي مهذب مقبول إلى حدّ ما.

لكنّ أبناء هذه الأسر يعيشون في مجتمع لغويّ لا يأبه بسلامة لسان أبنائه، بل يحرص على وجود الخادمة والمرّبية الأعجمية اللسان؛ لأن الأم تخرج من المنزل إلى العمل او الزيارات و تترك الأبناء في رعاية الخادمة أو المربية التي لا تعرف العربية ولا تتحدثها؛ وإن فعلت فعربيتّها ملحونة غريبة ليست من العربية في شيء؛ وإذا خرج هذا الطفل المسكين – قبل سنّ المدرسة – فإنه يخرج إلى جيران وأقارب وأقران ألسنتهم لاحنة ملحونة، ولغتهم ليست عربية، أو عربية تغلب عليها العجمة، ولا تبقي من صفاتها شيئًا.

وبعد ساعات العمل الرسمي للوالدين وأفراد الأسرة، يعود هؤلاء إلى صغارهم، وهؤلاء الكبار يتحدثون العامية الملحونة أو المهجّنة بألفاظ أو تراكيب أو عبارات وجُمل ليست من العربية في شيء، وليس بينها وبين الفصيحة سبب أو صلة أو نسب.

يعود الأهل أو كبار الأسرة وهم في حالة من الإرهاق والتعب أو الملل من العمل وهمومه ومشكلاته؛ ليس لديهم وقت كافٍ يخّصصونه لهؤلاء الصغار

وتربيتهم ورعاية شئونهم، وتقويم ألسنتهم وتهذيبها، وإن كان لبعض هؤلاء الكبار الوقت والرغبة لرعاية شئون الصغار فإنّ ألسنتهم – الكبار – ليست فصيحة، بل ربّما لا تقلّ عجمة أو انحرافاً عن الصغار.

ثم يخرج هؤلاء الأطفال الصغار إلى المدرسة، وهم في سنّ التكوين اللساني والسلوكي التربوي، فلا يجدون هناك بيئة لغوية سليمة، وربما لا يجدون بيئة تربوية سليمة، وهم في مدارس تتبع لوزارات تربية وتعليم في بلاد عربية اللسان والانتماء.

جـ- أسر ذات مستويات اجتماعية واقتصادية عالية ومتميزة؛ يكون اهتمامها – غالبًا- بالعربية والتربية اللغوية ضعيفًا باهتًا، فهؤلاء حسبوا – ويحسبون- أن الرقي والرفاه الاجتماعي والاقتصادي يتحققّان بهجر العربية: لغة وثقافة وتراثاً، والتعلّق باللغة والثقافة الأجنبية؛ فهي قد بهرتهم، فحسبوا- جهلاً أو خطأً- أنّ تقدم تلك الأمم وأولئك السادة سببه لغتهم وثقافتهم وعاداتهم وسلوكهم، وأن تخلّفنا- نحن- يعود إلى لغتنا.

يتّجه هؤلاء إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس الأجنبية بمناهجها وتربيتها،وهي غريبة عن مجتمعنا وتقاليدنا وثقافتنا وقيمنا وتراثنا؛ وهنا تشتدّ حمّى التقليد والتشبّه والمشابهة؛ ونرسل أبناءنا إلى تلك المدارس التي بَهَرتنا بنظافتها ومظاهرها، وعنايتها بالأطفال والطلبة، والمرافق المختلفة، وطرق التربية الحديثة المتطورة، وبهيئاتها الإدارية والتدريسية الراقية والمهذبة، وكل ذلك صحيح وأكيد، وأقول ذلك وأشهد له وعليه عن علم ودراية ويقين- إذ عملت مدرّساً من تلك المدارس في دولة عربية.

ولما كانت المناهج والكتب الدراسية، والهيئات الإدارية والتدريسية من الأجانب، كلها تنبع من ثقافاتها الأم فإنها تبقى غريبة عنا وعن قيمنا وتربيتنا، وقد يتخلّق بها أطفالنا، وبذلك يبتعدون عن ثقافتنا العربية والإسلامية، ويبهرون بما يجدونه ويألفونه في مدارسهم الأجنبية، فينجذبون إليه ويعتادونه، حتى يصبح من مقومات شخصياتهم وتربيتهم في غياب التوجيه الإسلامي واللغوي، والإجتماعي والقيميّ العربي، كل ذلك والأسر وأولياء الأمور ترهون منشغلون، أو راضون يفاخرون بحال أبنائهم وما وصلوا إليه.

كل هذا، وهم في وادٍ ومجتمعهم – بلغته وقِيمه- في وادٍ آخر قد يكون مناقضًا، فيتعلّق الصغار بهذا الأجنبيّ البرّاق الجذّاب.

ويتم كل ذلك "بالترويج للغات الأجنبية على أساس أنها الأرقى، وبالترويج لها ثانيًا على أساس الحاجة إليها.... ويتمّ ايضًا بالتشهير بالعربية على أساس أنها لغة قديمة، جامدة، صارمة وعويصة(٢)، وهي بريئة من هذا كله، وتلك عيوب فينا نحن، فالتنكّر للعربية وتراثها، وإقصاؤها وإظهارها بمظهر المتخلفة، كل ذلك يظهرها بمظهر العجز وعدم التمكّن أو القدرة على مجاراة حضارة العصر وعلومه وتقدمه، وكل هذا ظلم فادح لها ولإمكاناتها وقدرتها، فكيف يمكن أن يدّعي ظالموها بقصورها وعدم ملاءمتها للعلوم والحضارة، وقد تمكنت في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية لمدة قرون، تمكنت من استيعاب كل العلوم والفنون ونقلها سليمة لبعث الحضارة الإنسانية من جديد في الدول الغربية في مطلع العصر الحديث، وقبل ازدهار الحضارة الغربية الحديثة وانتشارها.

ولم تعجز العربية يومًا عن استيعاب العلوم ونظرياتها، وأثبتت ذلك قديمًا كما ذكرناا، وتراثها الواسع العريض يشهد بذلك.

وأثبتت ذلك حديثاً ايضًا؛ حين كانت الجامعة الأمريكية في بيروت تدرّس العلوم في أوّل عهدها في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، إذ كان بعض المستشرقين من أعضاء الهيئة التدريسية فيها ممن يجيدون العربية يدرّس بها هذه العلوم الحديثة(٣).

هذا حال العربية اليوم في مجتمعاتنا بين أهلها؛ فالصغير يقضي بعض يومه في المدرسة؛ وَمدرسته إمّا مدرسة أجنبية؛ لغة التدريس فيها أجنبية أعجمية، وقد أوضحنا خطورة ذلك على سلوك الصغار وألسنتهم وتوجيههم وتربيتهم؛ وإماَ مدرسة عربية تدّرس مناهج عربية وبلسان عربي، وهذه أقلّ خطرًا من المدارس الأجنبية على سلامة ألسنتهم؛ وإن كانت ليست مثالية؛ بسبب سيادة اللهجات العامية المحلية للمعلمين والمرّبين؛ فهذا الصغير قلّما يسمع محادثة بالعربية السليمة؛ لا يسمع لغة سليمة في البيت، ولا في الشارع مع أقرانه، ولا في المدرسة من المعلمين، فهو لا يمارس العربية الفصيحة السليمة، ولا يسمعها؛ فتبقى هذه العربية السليمة غريبة عنه، فيتأصّل في نفسه أنها ليست لغة صالحة للحياة أو الاستعمال،

وهذا خطر قاتل؛ إذ يقرّ لديه إحساس بذلك؛ علاوة على أنه لم يُتَح له معايشتها سماعًا وخطابًا واستخدامًا وتعبيرًا، فيبقى المستوى اللغوي الفصيح السليم مغيّبًا مهجورًا، قلّما يسمعه أو يستخدمه.

فمستوى المعلم- لغويًّا- إتقانًا واستخدامًا للعربية السليمة المتوسطة ضعيف غير مقبول، أما مستواه وقدرته في العربية الفصيحة العالية فأضعف، ولا تسألنّ عن قدرته وكفايته اللغوية فإن لم تكن صفرًا فقريبة من الصفر. فماذا يُتوقع منه ومن عطائه وإفادته للتلاميذ.

وكّل من له خبرة ودراية في التدريس والتعليم لاحظ كثيرًا من تلك المهازل المدمّرة لغويًّا أو عايش بعضها.

فعلى سبيل المثال:- معلم لغة عربية كان ملتحقاً في دورة تربوية إلزامية مع مجموعة من معلمي اللغة العربية، طلب منهم المحاضر أن يكتبوا حروف الهجاء مرتبة ابتثيًّا، وإذا بهذا المعلم الجهبذ يبدو عليه القلق والحيرة، ثم يسأل المحاضر قائلا: يا دكتور، هل تريدها مرتبة أم بالترتيب؟ فأجابه المحاضر- سافرًا-: أريدها مرتّبة! فردّ ذلك المعلم الجهبذ (التعيس): آه، أنا أحفظها بالترتيب، لا أحفظها مرتبة. وانتهى المشهد!!!

وثمّ أمثلة وشواهد أخرى على مستويات العربية ومعلميها في المدارس والتعليم.

وأتساءل: هل سمعتم معلمًا يناقش طلبته أو يشرح دروسهم باللغة السليمة، وأكاد أقول جازمًا: لا يحدث ذلك بنسبة ١٠٪ فقط.

وإذا تحادث هذا الطالب المسكين مع زملائه فإن المحادثة باللهجات المحلية العامية، وهكذا يُفرض على الطلبة جوّ عاصف من اللهجات العامية المحلية والوافدة الملحونة كلها، ثم بعد ذلك نتوقع من الطلبة سلامة اللسان!!! وكلنا نعلم أن اللغة مهارة تكتسب سماعًا وممارسة. وإذا انتقلنا إلى المنهج والكتاب المدرسي؛ فإنّ

كتبنا ليست بمستوًى مُرْض: إن على مستوى الشكل أو المحتوى (المضمون)؛ فشكل الكتاب ليس جذابًا أو مريحًا، ومضمونه ليس بمستوى مضامين كتب الأمم الأخرى المتقدمة.

أما المناهج: فقلّما نجد منهجًا سليمًا، مكوّناته ومفرداته هادفة جذابة، توسّع افاق الطلبة، وتراعي قدراتهم وبيئاتهم، وتزيدهم علمًاوتربية تتّسق وقدراتهم وآمالهم، وتنمّي معلوماتهم وآفاقهم؛ لا سيّما إذا تذكرنا اختلاف بيئات الطلبة ومستوياتهم المعيشية والاجتماعية والمعرفية والحضارية، فثمّ فروق بين أبناء المدينة وأبناء الري فإنّ ف وأبناء البادية؛ فلكلٍّ ثقافة ومستوى، واهتمامات وتطلّعات.

ويجب على المسئولين التنبّه ومراعاة ذلك بخطط ومناهج وطرق تربوية سليمة تراعي كل ذلك، وتحقق الفائدة، وترفع مستوى الجميع.

هذا حال المدرسة وجوّها ومتعلقاتها، وليست بيئة الطالب خارج المدرسة أفضل من ناحية سلامة اللغة؛ فمن أين سيحصل الصغير المسكين على سلامة اللسان، وكل ما حوله لحن وانحراف لغوي؟!!

وفي نهاية مرحلة الدراسة الثانوية يتخرج الطالب بتفوّق أو امتياز بطرق شتّى، وهو لا يكاد يقيم جملة بلغة عربية سليمة- إلّا مَن رحم ربكم، وقليل من هم-، وهؤلاء القلة الذين قد يسّرك مستواهم اللغوي، أو لا يسوءك، هؤلاء لا يتخصّصون أو يتجهون إلى دراسة اللغة العربية في الجامعة؛ لأسباب كلنا يعرفها، إما مادية، وإما اجتماعية، وإمّا إدارية، وغيرها، ويبقى الطلبة الذين لم يحالفهم الحظ في دراسة التخصصات المختلفة ذات البريق الاجتماعي أو الإداري أو المادي، أو ألمكانه السياسية والاجتماعية.

ويبقى ضعاف الطلبة – في الغالب يضطرون للتخصص باللغة العربية، أو بعض التخصصات التربوية أو الشرعية أو الأدبية والاجتماعية، وهؤلاء قدراتهم محدودة، وحتى آمالهم محدودة، أقول: يتجه هؤلاء، أو يُدفعون – أكثرهم – لدراسة اللغة العربية؛ فَقلما تجدون طالبًا متميزًا أو متمكنًا يدرس اللغة العربية، ويُمضي هؤلاء رحلتهم الجامعية حبْوًا أو زحفًا، لا يسّرك أكثرهم بإقامة عبارة بلغة سليمة، وهي لغة الأمة، وعنوان تميّزها وتفرّدها، وينهي رحلة الجامعة ويتخرّج- أكثرهم – بقدرات محدودة.

ويوظَّف ذو الجاه منهم، وكثيراً ما يحصل هؤلاء على الوظائف، وأعني أخطر وظائف المجتمع، وهي التدريس، والتربية والتعليم، وهو ضعيف لا يصلح للتربية أوالتعليم، بَلْه تعليم العربية، وسيلة تقدمنا وعبادتنا وتواصلنا، وستكون النتيجة في معظم الحالات الإضرار وإلحاق الضرر بالنشء وأجيال المستقبل الذين نعلق آمالنا عليهم، وربما لا يكون ذلك عن قصد من هؤلاء المعلمين الضعاف، ولكن بسبب سوء الوعي والتخطيط من الأهل والمجتمع وأنظمته وسياسته.

أما الجامعات وسياسة القبول فيها في بعض بلادنا العربية فغريبة؛ إذ إن

هناك استثناءات ووساطات في قبول طلبة بلا حق أو جدارة، فيدخلون الجامعة ضعافًا، ويبقي أكثرهم ضعافاً ويتخرّجون ضعافاً،والضعيف لغته ضعيفة، وقلّما يتحسّن ويتخرّج ضعيفًا، ويُعيَّن هؤلاء الضعاف، وهم لا يستطيعون العطاء أو الإفادة على الوجه المطلوب.

ونظام التعيين في أكثر جامعاتنا لا يراعي الجدارة والكفاية العلمية لدى بعض أعضاء هيئات التدريس والأكاديميين؛ فعلمهم سطحيّ ضحل، وقدراتهم محدودة، وعطاؤهم محدود.

ولو مررت في بهو بعض أقسام اللغة العربية لهالك ما ترى وما تسمع، فإعلاناتهم وملصقاتهم فيها أخطاء على مستوى رسم الكلمات، وعلى مستوى بِنى بعض الكلمات، وعلى مستوى تراكيب بعض الجمل والعبارات، وهذا قد يكون كلّه أو بعضه- من موظفي القسم أو الكلية، أو بعض أعضاء هيئات التدريس.

ثم لو مضيت وسِرت بين قاعات التدريس، لسمعت من بعض المحاضرين اللهجات العامية المحكية، ولظننت في بعضها أو في بعض الحالات أنك تسير في سوق شعبية، وقلّما يسمع الطلبة لغة سليمة شائقة من المحاضرين؛ وهذا أثره النفسي والعلمي سلبيّ مدمّر؛ يستوي في ذلك تدريس المرحلة الأولى (البكالوريوس) ومرحلتي الدراسات العليا: الماجستير والدكتوراه.

ولو قُدّر لك عزيزي القارئ- أن تحضر وتسمع مناقشة رسالة ماجستير أو دكتوراه وفي اللغة العربية وآدابها، بل في اللغة والنحو والدراسات اللغوية لهالك بل أفزعك المشهد والأمر؛ فإن المناقشة تجري في معظمها باللهجات العامية الساقطة الهابطة، وتسمع من المناقشين لهجاتهم، وكذا من الطلاب، وهكذا- تقريبًا- تجري الأمور في معظم عُرن- جمع عرين- اللغة العربية وآدابها في جامعاتنا العربية أو أكثرها، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

ولو استعرضت خُطط التدريس والقرارات في أكثر الجامعات العربية لوجدت الضحالة والجدب في المعلومات والقضايا والموضوعات، وقلّما يُكلَف الطلبة الإسهام في تحصيل المعرفة، والتحضير والإعداد والإلقاء والمناقشة!!!

وهذا كله ذو صلة بحسن اختيار أعضاء هيئات التدريس في الجامعات وتعيينهم، فقد غيبت معايير الكفاية والقدرة، ورَكَنّا إلى معايير المحسوبية والوساطات والوَجاهات، ونسي المسئولون معايير القدرة والكفاية والأمانة، نسوا المعيار السماويّ، وقول الحق سبحانه :﴿ يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين﴾ (القصص، الآية ٢٦) وهذا يُبيّن سُنّة الله وشريعته لمن أراد الصلاح والإصلاح والحق والخير لنفسه وللوطن والأمة.

وتتخرّج الأجيال من الجامعات بأعداد كثيرة، والله- سبحانه- يعلم كيف تخرّج هؤلاء، وما مستواهم، وما قدراتهم وتحصيلهم في تخصصاتهم المختلفة، وأكثر الخريجين أعدادًا ووفرة- تقريبًا- في اللغة العربية وآدابها، وبعضهم- أو الأكثر منهم - لم يتمكّن من علوم العربية، وإنما قضى سنوات أربعًا أو حولها يذهب إلى الجامعة ويعود منها، ثم يتخرّج ضعيفًا، ولَيته يحاول تدارك ما فاته في سنوات الجامعة ورحابها، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه ضعيف، وتنتظر بعضَ هؤلاء الضعاف الوظائفُ والمراكز، وهم لا يستطيعون البناء والإسهام في مجالات أعمالهم ومهنهم ومراكزهم؛ فينقلون داء الضعف والجهالة إلى من يأتي إليهم راغَبًا في التعلم والإفادة منهم ومن أمثالهم الكُثر، ولكنّ هيهات أن يحصل على فائدة أو يحصّل علمًا منهم ومن أمثالهم، وتستمر العجلة بالدوران هكذا، ولا يسمع المسئولون من المراقبين والمتخصصين الغَيارى نداءً أو توجيهًا أو نقدًا أو إنذارًا أو ملاحظة.

ويرى المراقب أثر هؤلاء الضعاف وأمثالهم وأثر جهلهم وضعفهم في مجالات الحياة المختلفة، والمرافق والمدارس ودواوين الحكومة والعمل، ووسائل الإعلام بأنواعها على أثرها وتأثيرها وخطرها؛ فقلّما يقيم كثير من الموظفين – بَلْه المعلمين – وبعض الإعلاميين – قلّما يقيم بعضهم أو أكثرهم جملة أو عبارة بالعربية سليمة، وآثارهم تدلّ على ذلك وتدعّمه وتؤيده وتشهد له.

أما عن الشارع العربي أو الشوارع العربية،فكثير منها لا صله لها بالعربية وسلامتها، والى الله المشتكى.

أقول : إذا اراد أحدهم بناء بيت هُرِع إلى المهندس، وإذا اشتكى من علّة أو مرض ذهب إلى الطبيب، وهكذا في أمور الحياة ومرافقها، إلا في مجال اللغة وما يتعلّق بها، فقلما نعرض حاجاتنا وهمومنا اللغوية على أهل الاختصاص في اللغة !! فتخرج أنشطتنا اللغوية وإعلاناتنا سقيمة تثير الإشفاق والهلع والاشمئزاز، لأنها تجرح الذوق العام السليم !!!

والكتابات والإعلانات والإرشادات في الدواوين والدوائر الحكومية تجرح كل ذي ذوق سليم، أو غَيرة على هذه الأمة وشئونها ومتعلقاتها وسمعتها ومكانتها.

إن الاعتزاز بلغة الأمة وتراثها ذو أثر كبير وخطير في بنية المجتمع واستقامة أموره، فاللغة مكمّلة للدين والأخلاق والسلوك، بل هي وسيلتها جميعًا، وسلامتها تدلّ على سلامة المجتمع وأفراده ومتعلقاته.

وجميع الأمم والشعوب الحية التي تريد البقاء والنقاء بين الأمم تحرص على نقاء لغتها وسلامتها، وتهتّم بقومية المصطلحات ونقلها إلى لغتها القومية، ولعلّ ممّن تنبّه إلى خطورة ذلك وأثره " الدولة الإيرانية"، إذ تدخّل رئيس الدولة وأصدر أمرًا إلى جميع دوائر الدولة ومرافقها بتغيير جميع المصطلحات الحضارية الأجنبية في إيران إلى اللغة القومية الفارسية الإيرانية (٤)، وهكذا فعلت وتفعل جميع الدول التي تحرص على سلامة لغتها ونقائها وسيادتها، تمهيدًا ومفتاحًا للتقدم والسيادة الوطنية القومية.

وكثيرون يتساءلون "ما يمنع اللغة العربية من آن تكون اليوم وغداً لغة العلوم العصرية والفنون الصناعية.... فاللغة تتجدّد ككل كائن حي، ولا تحيا اللغات إلا في أفواه الناطقين بها" (٥).

إنها لا تحيا بالهجران والتنكّر، إذ "إن اللغة كائن حيّ تعيش وتنمو بالتغذية المستمرة والعمل الجدّيّ الدائب"(٦).

إن الأمم الحّرة والحّية تحرص على تنمية قدراتها ومقوّماتها، وعلى بعث الروح الوطنية والقومية، ونحن أمة نعتز بديننا وتراثنا، وباللغة التي حملت تلك العقيدة وذلك التراث، ولنتذكر دائمًا أن "اللغة تحيا بالاستعمال وتموت بالإهمال، وموت اللغة دليل على موت أهلها ماديًّا أوفكريًّا او حضاريًّا."(٧)

واللغة العربية تمتلك خصائص " بفضل تركيبها الداخلي، تعطيها قدرة خاصة على التجريد والنزوع إلى الكلية والشمول، مكّنت العرب من استكشاف رموز الجبر، وصيغ الكيمياء والمسلسلات الحسابية"(٨).

وخصائص العربية ومقوّماتها وطاقاتها وقدراتها لا يشكّك بها إلا جاهل أو مفتون بما لدى الأجانب: غربيين أوشرقيين، فيدعو تارة إلى استبدال لغات أجنبية بها وهجرها، بحجة أن أهلها متخلفون؛ برغم أنّ العيب في هؤلاء الأهل الذين هجروها وتنكّروا لها، ودَعَوْا إلى إحلال اللهجات العامية محلّها، مما دعا المستشرق الأستاذ بلاشير إلى الردّ عليهم لإحقاق الحق ونصرة الحقيقة، إذ قال:

" إني لأصرّح أن لغة الاعتزاز هي العربية الفصحى....، ولو كنت عربيًّا لكنت بالطبع فخورًا بهذه اللغة؛ إن اللغة العربية هذه تمكّن العربي من إبراز شخصيته أمام لغات الأمم الكبرى، وتشعره أنه يمتلك لغة حضارية ممتازة..." (٩)

ولعلّ القارئ بعد هذا العرض الموجز يحسّ، ويوافق الباحث في أن اللغة العربية في أزمة إذا كنا مخلصين ومحايدين، ولا بدّ من المبادرة والتحرّك لاستدراك الخلل وإصلاحه ومواجهة هذه الأزمة بروح الحياد والإخلاص، حتى تعود العربية وتبقى مبعثًا للفخر والاعتزاز.

ولكن، من يبادر ويعلّق الجرس ؟ ها نحن في انتظار، والله الموفق والمستعان.

حواشي البحث ومراجعه

(١) كتاب تأملات في اللغو واللغة / محمد عزيز الحبابي (الدار العربية للكتاب: ليبيا – تونس، ١٩٨٠). ص٧٥.

(٢) كتاب "دفاعًا عن العربية" / د. جوزيف إلياس، (ص.٢٤)، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢.

(٣) كتاب التربية اللغوية العربية / د. عدنان حسن با حارث، (ص١٠٥)،دار المجتمع للنشر والتوزيع- جدة، السعودية،ط١.

(نقلا عن د. أحمد مطلوب (حركة التعريب في العراق، ص٢٠٥- ٢٠٦ و ٢١٥-٢١٦.

(٤) كتاب العرب والخيار اللغوي، / أ. د. أحمد بن محمد الضبيب، ص ١٨٧، ط١ (١٤٢٧ هـ/٢٠١٦م) الناشر نادي القصيم الأدبي في بريدة/ السعودية، (مقالة بعنوان: استعمال المفردات والتعبيرات الأجنبية: هل هو تلاقح حضاري أم استلاب).

(٥) كتاب تنمية اللغة العربية في العصر الحديث/ مقالة بعنوان: (دَور التربية والتعليم في تنمية اللغة العربية – د. علي الشنوفي ص٢٠٢) الناشر: وزارة الشئون الثقافية/ تونس ١٩٨٨م.

(٦) نفسه/ ص١٢٦، مقالة بعنوان ""المعاجم الحديثة العامة والمختصة/ عبد العزيز بن عبد الله (الرباط).

(٧) نفسه (ص١١٣، مقالة بعنوان ((المعرّب والدخيل وأثرهما في تطوير اللغة العربية العلمية)) أحمد الشرفي.

(٨) عن المستشرق ماسينيون: في كتاب " دراسات في اللغة والحضارة " من بحث : دَور اللغة في تماسك شخصية الأمة" للأستاذ الحبيب المخ، (ص٣٦). منشورات وزارة الثقافة التونسية/ ملتقى ابن منظور – تونس ١٩٧٤م.

(٩) كتاب " تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، وزارة الشئون الثقافية/ تونس ١٩٨٨م، (ص١٨) من مقالة بعنوان "خواطر حول وضع اللغة العربية في العصر الحاضر"، / د. محمد السويسي.